

DOI: 10.54240/2318-013-002-008

**رصد الواقع السياسي للطوائف المسيحية الشرقية في ظل الوجود
الصليبي بالشرق من 1098-1110م (طائفة الأرمن أنموذجا)**

**Monitoring the political situation of Eastern Christian
Denominations under the Crusader presence in the East between
1098 and 1110 (Armen's denomination as a model)**

اسم ولقب المؤلف المرسل: غزلان لخلف- ghouzlene lakhlef صص 135- 149
الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه، جامعة 8 ماي 1945 قالة.

البريد الإلكتروني: lakhlef.ghouzlene@univ-guelma.dz

اسم ولقب المؤلف الثاني: كمال بن مارس- kamel ben marce
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ، جامعة 8 ماي 1945 قالة.

البريد الإلكتروني: benmarce.kamel@univ-guelma.dz

تاريخ استقبال المقال: 2023-06-29.. تاريخ المراجعة: 2023-07-10.. تاريخ القبول: 2023-10-20

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على إحدى فئات الظل الإثنية والدينية المهمشة في الكتابات التاريخية الإسلامية، رغم الأدوار الريادية التي لعبتها ضمن الحركة التاريخية المشرقية، ونقص ذلك الطوائف المسيحية الشرقية التي تعد جزءا من النسيج البشري للمجتمع العربي- الإسلامي المشرقي، جمعت هذه الطوائف بين الخصوصية العرقية (عرب، سريان، أرمن، أقباط، روم...) والخصوصية الدينية (يعاقبة، نساطرة، ملكانية...) فبالرغم من انتمائها العرقي والمجالي للعناصر البشرية المكونة للأمة الإسلامية، إلا أنها حسب القانون الاجتماعي الإسلامي عرفت ببطقة أهل الذمة، معتبرين هذا التصنيف يضعهم في مرتبة اجتماعية وسياسية أقل شأنًا من المسلمين. حيث خضع مسيحيو المشرق للحكم الإسلامي رغم تحفظهم عليه وتمسكهم بحلمهم الدائم في استعادة سيادتهم السياسية، حيث رأت في بداية الحركة الصليبية على المشرق فرصة لتغيير واقعها للأحسن، ومن أجل رصد هذه التغيرات اتخذنا طائفة الأرمن كنموذج لدراسة مدى تأثير الوجود الصليبي على الواقع السياسي لهذه الطوائف.

لعبت طائفة الأرمن دورا محوريا على طول سير الحملة الصليبية الأولى، لتصبح عنصرا فاعلا في مجريات الحركة الصليبية منذ ولوجها آسيا الصغرى وحتى استقرارها في بيت المقدس، ما أدى لفرض واقع سياسي متفرد ومتقلب، عاشته هذه الطائفة طيلة فترة الوجود الصليبي بالمنطقة.

الكلمات المفتاحية: المسيحية الشرقية، الحروب الصليبية، الأرمن، كونتية الرها، أرمينية الصغرى، الفرنجة.

ABSTRACT: This study aims to shed light on one of the marginalized ethnic and religious shadow groups in the Islamic historical writings, despite the leading roles in which they played among the Eastern historical movement, which means the Eastern Christian Denominations that are part of the human building of Eastern Arab-Islamic Community, in which brought together these denominations between racial distinction and religious distinction. Although the ethnic affiliation, they would come to be known as Ahl Adh-Dhimmah, according to Islamic Social Law, they saw, at the beginning of the Crusader movement on the East, a chance to change the situation for the better. Thus, in order to monitor these changes, we took Armen's denomination as a model to study how influential is the Crusader presence on the political situation of these denominations.

The Armen's denomination played a crucial role along the First Crusade, to becoming an actor in the course of Crusader, that had led to the imposition of a fluid and unique political situation, in which this denomination has lived during the period of Crusader presence in the region.

Keywords: Eastern Christianity, Crusades, Armen, Comitatus Edessanus, Armenia Minor, Franks.

المقدمة: استهدف الخطاب الدعوي الصليبي، في ظاهر أهدافه المعلنة الوجود الإسلامي في المشرق، مروجاً لفكرة الحرب الدينية لحماية المسيحيين الشرقيين المظلومين من طرف السلطة الإسلامية هناك، غير أن واقع الحروب الصليبية، يرسم لنا صورة مغايرة لتلك العلاقة التي جمعت الصليبيين بالطوائف المسيحية الشرقية، فرغم التوافق الديني باعتبار كل منهما يعتنق المسيحية، إلا أن الخلافات العقائدية أدت إلى تمذهبهم وفتور في العلاقة منذ مجمع خلقيدونيا المسكوني 451م، بالإضافة إلى الاختلافات العرقية والحضارية بين المسيحيين الغربيين اللاتين والمسيحيين الشرقيين من روم وعرب وسريان وأرمن، الأمر الذي عزز من التباعد بين الطرفين.

كان الوضع السياسي للمسيحيين الشرقيين على أراضي المشرق في القرن الحادي عشر للميلاد متباين، فجزء منهم كان تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية التي اضطهدت أغلب الطوائف المشرقية، وجزء آخر استطاع تكوين إمارات صغيرة شبه مستقلة أغلبها أرمينية كان مجالها آسيا الصغرى، بينما جزء ثالث كان تحت الحكم المباشر للقوى الإسلامية فيما عرف

بطبيعة أهل الذمة التي كانت لديها واجبات وحقوق مكفولة بنص القرآن والسنة، غير أن طموح الحكم الذاتي بقي يراود أغلب هذه الطوائف- خاصة طائفة الأرمن- في الانضواء تحت حكم مسيحي عادل، فكان لوصول الحملة الصليبية أراضهم منعرجا حاسما لطموحاتهم السياسية، ومنه نتساءل: كيف كانت العلاقات السياسية للمسيحيين الشرقيين مع الصليبيين بين المتوقع والواقع؟ من هم الأرمن؟ كيف كان موقفهم من وصول الصليبيين للمشرق؟ وإلى أي مدى استطاعوا تحقيق أهدافهم السياسية في ظل الحكم الصليبي؟ وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا المنهج الاستقرائي الذي ساعدنا في جمع وتحليل المادة التاريخية المتناثرة في المصادر المختلفة، خاصة اللاتينية والسريانية وكذلك العربية الإسلامية، وذلك من أجل الوصول إلى خلفيات ونتائج العلاقة الصليبية- الأرمنية وتداعياتها.

1- المسيحيين الشرقيين والأرمن: ضبط اصطلاحي.

1.1 المسيحية الشرقية: أقر مجمع القسطنطينية المسكوني¹ سنة 381م تقسيم العالم المسيحي إلى عالم مسيحي غربي عاصمته روما، وعالم مسيحي شرقي عاصمته القسطنطينية، المصطلح في بداياته كان ذو دلالة جغرافية، قبل أن تتدخل الثقافات والخلافات اللاهوتية والكريستولوجية² خاصة، في وضع فوارق واضحة بين ما هو غربي وما هو شرقي لتصبح الدلالة الجغرافية أمرا ثانويا³، وهذا ما برهن عليه مجمع خلقيدونيا 451م الذي شطر الكنيسة الأرثوذكسية إلى قسمين، فظهر مصطلح "الكنائس الأرثوذكسية المشرقية" أو المعروفة بالكنائس اللاخلقيدونية، مقابل الكنائس الخلقيدونية التي جمعت تحت ظلها كل من كنيسة القسطنطينية الشرقية وكنيسة روما الغربية⁴. وبحلول عام 1054م، تم تقسيم العالم المسيحي نهائيا إلى قطبين متباينين: عالم مسيحي يوناني شرقي متمثل في بطريركية

1- المجمع المسكوني: معناه الاجتماع العالمي لكل ممثلي الكنائس المسيحية يتم فيه مناقشة أحوال الكنيسة والبحث في قضاياها اللاهوتية وتعتبر قراراته نافذة على كل الكنائس؛ للمزيد أنظر مفيد الزبيدي- موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر- دار أسامة للنشر والتوزيع- الأردن- ط1- 2009- ص 43.

2 علم منشق عن علم اللاهوت المسيحي يختص بالبحث في شخص السيد المسيح وطبيعته؛ للمزيد أنظر:

Johnny turner, abiblical theology of Christian discipleship, WIP AND STOCK publishers, Eugene, 1st ed 2021, p5

3 - أثناسيوس المقاري، الكنائس الشرقية وأوطانها- ج1- ط2- دار نوبار- القاهرة- 2006- ص 21- 22.

4-سمير عبده- المسيحيون السوريون خلال ألفي عام- دار علاء الدين للنشر- دمشق- 2000- ص 44، 45

القسطنطينية والكنائس المشرقية المختلفة، وعالم مسيحي لاتيني غربي والمتمثل في كنيسة روما واصطلاح على الحدث تسمية الانشقاق العظيم¹.

فالمقصود بالمسيحية الشرقية هي تلك الكنائس التي نشأت في العالم المسيحي الشرقي، والذي يمكن حصره جغرافيا في حدود الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ولاهوتيا في الكنائس التالية: النسطورية²، اليعقوبية³، المملكانية⁴، الأرمنية، المارونية⁵. وهي ذات عرقيات مختلفة وطقوس لغوية وثقافية متنوعة، شملت كل من اليونانية، العربية، الأرمنية، القبطية والسريانية⁶.

2.1- الأرمن: أحد الشعوب القديمة التي لا يعرف أصلها بدقة، غير أن أغلب المؤرخين يجزمون بأرية الأرمن، وأنهم يعودون إلى القبائل الهند-أوروبية التي سكنت أواسط آسيا على تخوم الهند قديما، ثم استقرت في مناطق عدة مثل: جبال القوقاز، وبلاد الكرخ، وبلاد الأرمن المعروفة بأرمينيا، ليؤسسوا أشهر ممالكهم على الإطلاق أرمينيا الكبرى⁷.

1-Linda Edwards, a guide to beliefs, ideas, theologies, mysteries, and movements, Westminster John Knox press, London, 1st Ed, 2001, p331, 332.

2- إحدى الكنائس المسيحية الشرقية، اشتق اسمها من نسطور أسقف مدينة القسطنطينية سنة 428م، وتسمى أيضا بالكنيسة السريانية الغربية أو الآشورية، مقرها بلاد فارس ثم بغداد بعد الفتوحات الإسلامية للمنطقة، وتعتقد هذه الطائفة بمذهب الطبيعتين التي ترى أن السيد المسيح مكون من جوهرين إلهي وإنساني مرتبطان دون انفصال. عزيز سريال عطية- تاريخ المسيحية الشرقية- تر. إسحاق عبيد- ط1- المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة- 2005- ص292.

3- ينضوي تحت مسمى اليعاقبة مجموعة من الكنائس كالبطية والسريانية المشرقية في الشام وآسيا الصغرى والأرمنية، ويرى أتباعها أن السيد المسيح احتوى داخل شخصه طبيعة واحدة إلهية بالكامل؛ أنظر: مصعب قاسم عزوي- رقى الذاكرة التاريخية منعطفات التاريخين العربي والإسلامي- ط2- دار الأكاديمية للطباعة والنشر والتوزيع- 2022 م.

4- هي واحدة من المذاهب المسيحية الشرقية ظهرت في آسيا الصغرى واعتنقها الأباطرة البيزنطيون، وتقول هذه الطائفة بأن الله ثالث ثلاثة، وأن الجوهر غير الأقنوم؛ للمزيد أنظر: سعدون محمود الساموك، هدى علي الشمري- الأديان في العالم- دار المنهاج للنشر والتوزيع- عمان - ط1- 2010- ص 267-268.

5- طائفة تنسب إلى القديس يوحنا مارون السوري عاش أواخر ق4م، انتقل المواردنة من ضفاف نهر العاصي إلى جبال لبنان، وتعتبر الطائفة المشرقية الوحيدة ذات الارتباط الوثيق بالكرسي الرسولي في روما وعقيدته الكاثوليكية؛ أنظر يوسف دبس- الحجة القاطعة على من ينكر ثبوت المواردنة في العقيدة الكاثوليكية- طبع المطبعة العمومية المارونية- بيروت- 1900- ص45-46.

6- أثناسيوس مقاري- المرجع السابق- ص 22-24.

7- فتحي سالم الهيبي- مملكة أرمينية الصغرى دراسة في العلاقات السياسية مع القوى المجاورة للفترة 463- 776هـ/ 1071- 1374م- عمان دار غيداء للنشر والتوزيع- 2018 - ط1- ص25-26.

عرفت أرمنية الديانة المسيحية في القرن الثالث الميلادي، حيث تعد الكيان السياسي الأولى في العالم الذي اعتنق المسيحية لتصبح دينا رسميا للدولة، ويرجع الفضل في ذلك إلى القديس غريغوريوس المنور، أسقف قيصرية كبادوكية، حيث أرسى دعائم النصرانية فيها في العقد الثاني من القرن الرابع الميلادي، ومن الثابت أن المسيحية دخلت أرمنية أولاً عن طريق الرها، ثم عن طريق كبادوكية بفضل القديس غريغوريوس مما جعل العاملان السرياني واليوناني يمتزجان فيها، وقد اعتمدت في ضبط عقيدة كنيستها على كتاب بروكليس رئيس أساقفة القسطنطينية، وفيه يركز على الوحدة الكائنة في السيد المسيح وهكذا توجه الأرمن إلى القول بالطبيعة الواحدة، وسمي الأرمن الأرثوذكس بالغريغوريين نسبة إلى المنور غريغوريوس¹.

2- الأرمن وعلاقتهم بالكروسي الرسولي اللاتيني قبل 491هـ/ 1098م: كان الأساقفة وبعض رجال الدين الأرمن، قد تعودوا منذ القرن السادس الميلادي على شد الرحال من حين لآخر إلى المزارات الدينية المسيحية الغربية التي تزخر بها القارة الأوروبية، منها: قبري القديسين بطرس، وبولس، في مدينة روما، وهو ما يعتبر في الكتابات الغربية حجاً إلى الأماكن المقدسة المسيحية². ومن أشهر الرحلات الأرمنية إلى الأماكن المقدسة الغربية نذكر:

- زيارة القديس سمعان (Saint. Siméon)، الذي توجه من أرمنيا الكبرى إلى القدس وزار فيها كنيسة القيامة، ثم انتقل إلى روما سنة 373هـ/ 983م، وحظي بمقابلة البابا بنديكتس السابع Benoit VII 983-974، والتقى في مجلسه بقس أرمني آخر كان يحسن اللغة اللاتينية؛ ثم زيارة القديس داووين (Davin)، من أرمنيا الكبرى، في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، حيث زار بيت المقدس، ومنها انتقل إلى روما، وبقي في إيطاليا إلى أن وافته المنية سنة 1050/442م³.

1 اديب السيد- أرمنية في التاريخ العربي- المطبعة الحديثة بـ حلب - ط 1 - 1972 - ص 47 - 49.

2 محمد زرقوق- سفارات الكنيسة الأرمنية إلى القسطنطينية و روما و القاهرة و أثرها على اندلاع الحروب الصليبية- مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية- ع 51- 2019- ص 59.

3 المرجع نفسه- ص 59، 60.

- زيارة الجاثليق¹ جريجور الثاني فيكاياسر (Le Catholikos Grégoire Vekayaser) تعد أشهر الزيارات الدينية الأرمنية التي تزامنت مع بداية التحضير للحملة الصليبية الأولى في أوروبا 467 هـ/ 1074 م، وزار فيها القسطنطينية، روما والقاهرة. وكان هدفه من هذه الزيارات الثلاث كسب دعم هذه القوى ومناصرتها للأرمن، وإذا كانت الزيارات التي قام بها بعض رجال الدين الأرمن، ومعهم بعض أتباعهم إلى إيطاليا، وفرنسا، خلال القرنين العاشر، وبداية القرن الحادي عشر الميلاديين، قد ساهمت في التعريف بأرمينيا لدى النورمان، والفرنجة، فإن الزيارة التي قام بها هذا الجاثليق إلى روما، والمهمة الدبلوماسية التي أداها لدى البابا جريجور السابع²، والمراسلات التي جرت بينهما، قد أحدثت تقارباً بين الكنيسة الأرمنية والكنيسة الكاثوليكية. وتركت صداها في المؤسسة البابوية. كما ساهمت في شحذ الهمم لدى المسيحيين الغربيين، وروجت لضرورة تقديم المساعدة العسكرية للمسيحيين الشرقيين، ومهدت الطريق أمام البابا أوربان الثاني (Urbain II)، ليرسل جحافل الصليبيين الذين أصبحوا ابتداء من سنة 491 هـ/ 1098 م، جيران الأرمن في المشرق.³

3- موقف الأرمن من الاجتياح الصليبي للمشرق الإسلامي:

3.1 - الحملات الصليبية: هي حملات عسكرية الطابع، دينية الظاهر، سياسية واقتصادية الهدف والغايات، انطلقت من الغرب الأوروبي الذي كان يعيش ذروة العصور المظلمة، للهرب من الواقع الحضاري المزري الذي كانت تتخبط فيه أوروبا إلى "جنة الشرق" و"أرض الرب" كما صورتها لهم البابوية صاحبة الدعوى الصليبية، وفكرة "جنود المسيح"، الذين سوف يحررون قبر المسيح من أيدي الكفار السراسنة، وينقذوا إخوتهم المسيحيين الشرقيين من ضيم السلطة الإسلامية الظالمة هناك.

1 الجاثليق أو الكاثوليكوس هو لقب لإحدى الرتب الكهنوتية المسيحية- ويعتبر أعلى رتبة دينية في الكنيسة الأرمنية - أول من تقلدها هو غريغوريوس المنور؛ للمزيد أنظر: يوشع براور- عالم الصليبيين- ترجمة قاسم عبده قاسم و محمد خليفة حسن- عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية-القاهرة - 1999- ط1- ص83

2- البابا غريغوري السابع هو ألماني الأصل، من أشهر باباوات الكرسي الرسولي البطريركي في روما، كان صاحب حماس ديني شديد، بالإضافة إلى رؤيته الاستشرافية حول الصراع بين الشرق والغرب وفكرة جيش المسيح والحرب الصليبية. قاسم عبده قاسم- مفهوم الحروب الصليبية- عالم المعرفة- الكويت- 1990- ص 31.

3 محمد زرقوق- المرجع السابق -ص64- 61.

انطلقت الحملة الصليبية الأولى الرسمية سنة 489هـ/1096م، بقيادة مجموعة من الأمراء والسادة الإقطاعيين المنتظمين في أربعة جيوش، شددت رجالها من أوروبا الغربية نحو القسطنطينية محطة الدعم والانطلاقة الثانية، التي سوف يساعدهم حاكمها الروم الملكانيون للولوج إلى أرض المشرق، ومن هنا بدأ الاحتكاك الصليبي مع الطوائف المسيحية الشرقية، خاصة بعد عبورهم البوسفور نحو آسيا الصغرى معقل المسيحيين الأرمن والسرمان والروم؛ فكان لابد من نشوء علاقة بين الصليبيين اللاتين وبين المسيحيين المحليين.

3.2- دعم الأرمن للصليبيين عقب ولوجهم آسيا الصغرى: ساهمت طائفة الأرمن في دعم الوجود الصليبي خلال حملة الأمراء، بإقليم آسيا الصغرى وأعلى الجزيرة، أين نرى جهود منقطعة النظير لتمهيد الطريق للجيوش الصليبية كي تتوغل داخل الأناضول، حيث ساعدهم العنصر الأرمني المنتشر بكثرة في الحاميات السلجوقية والمدن التابعة لها خاصة بقبادوقيا وقيصرية في تذليل العقبات والترحيب بالصليبيين، وتسليمهم الحصون بدون مقاومة، وكذا دعمهم بالمتطوعين كالجنود والمرشدين، لتسهيل عملية التوغل في أراضي المشرق¹، بالإضافة إلى اعتبارهم عنصرا فعالا في عملية تمويل الحملة بالغذاء والأسلحة، وقد أوردت المصادر التاريخية شواهد عن اللقاء الأول بين الصليبيين والأرمن، والذي أسفر عن تحالف مع صاحب حصن قبادوقيا يدعى سيمون الأرمني الذي دان لهم بالولاء².

كما تحدثت الروايات عن أرمن قونية الذين وفروا الطعام من فواكه وخضر، رغم أن السلاجقة دموها قبل مغادرتها إلا أن من بقي فيها من الأرمن استمات في دعم الفرنجة، بل وزودوهم بمعلومات عن الطرق والسكان والمزروعات في المنطقة، وعلموهم آليات تخزين ونقل الماء، وبالفعل أفادهم الأمر عند التقائهم بالسلاجقة في هرقيلية أين انتصروا وغنموا³.

3.3- دور الأرمن في نشوء الإمارات الصليبية بالمشرق:

1- مزا بنت زيد البقعي- الأدلاء ودورهم في بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية (490-690هـ/1098-1291م)- عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- القاهرة - ط1- 2017 - ص 70، 71.

2- مجهول- أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس- تر. و. تق. حسن حبشي - دار الفكر العربي - 1958- ص. 46.

3- سعد خليل الشعيبات -مصادر تمويل الحملات الصليبية 488-648هـ/1095-1250م - الآن ناشرون و موزعون-عمان- ط1- 2021- ص 63.

- كونتية الرها: وثقت المصادر التاريخية أسماء شخصيات أرمنية كان لها دور مفصلي في ترجيح كفة الصليبيين أثناء صراعهم مع القوى الإسلامية، فعلى سبيل المثال نذكر "باكراد" أو "بقراط"¹، الذي تعرف عليه بلدوين دي بويون في قليقية، وكان هو من أشار عليه بالمضي غربا اتجاه أعالي الجزيرة الفراتية نحو الرها التي كانت ذات أغلبية شعبية أرمنية متدمرة من حاكم يخالفها في المذهب يدعى "ثوروس"²، هذا الأخير الذي كان ولاءه لبيزنطة العدو التقليدي للأرمن، وبالفعل صدقت رؤية "بقراط" ومشورته واستطاع بلدوين تأسيس أول إمارة صليبية في الرها بفضل العنصر الأرمني الذي أظهر استماته في ترسيخ أقدام الفرنجة فيها بل وأمساو هم الجيش الحقيقي لهذه الإمارة الصليبية الناشئة³، لم يقتصر تعاون الأرمن مع حملة الكونت بلدوين الصليبية على الترحيب به وتسليمه مدنها، بل "حالفه أيضا أمراء تلك النواحي المسيحيون، وأخلصوا النية في مصادقته، وأزروه فيما يفعله..."، و"أمدّوه بالجند وبذلوا له الطاعة الصادقة"⁴، فنجد الأميرين الأرمنيين فير ونيكوسوس قد لعبا دورا مهما بوقوفهم في ظهر جيش بلدوين ضد السلاجقة⁵.

- أنطاكية: عند حصار الجيوش الصليبية لأنطاكية، يبرز في الوسط اسم أرمني آخر، سيلعب دورا حاسما في سقوط أنطاكية بيد الصليبيين، وهو "فيروز" أو "نيروز" كما ورد في المصادر العربية⁶، هذا الأخير الذي كان أحد رجال ياغي سيان المكلف بحماية تحصينات أنطاكية أين ثبتت خيانتة للحامية السلجوقية عندما ساعد الصليبيين في اختراق أسوار المدينة وقت حصارهم لها⁷.

4- الأرمن بعد الإستقرار الصليبي في المشرق:

1- بقراط: Bagrat من أشرف الأرمن وأخ الأمير كواسيل حاكم إمارتي كيسوم وربعان، وقد كان في نيقية فارا من الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس. للمزيد انظر وليم الصوري- الحروب الصليبية حبشي- تر. حسن حبشي- الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر- 1991- ج 1 ص 256.

2- مؤرخ رهاوي مجهول- تاريخ الرهاوي المجهول- ج 2-عربه الأب ألبير أبونا- مطبعة شفيق- بغداد- 1986- ص 75-76.

3- الصوري- المصدر السابق- ص 264.

4- المصدر نفسه- ص 257.

5- المصدر نفسه- ص 256.

6- ابن العديم- زبدة الحلب من تاريخ حلب- تح خليل المنصور- دار الكتب العلمية- بيروت- ط 1- ص 199- 153.

7- مؤرخ مجهول- المصدر السابق- ص 49-70.

4.1- مشاركة الأرمن في مؤسسات الحكم: بسبب سيطرة العنصر الأرمني بشريا في كونتية الرها، لجأ بلدوين وخلفاؤه في تسييرهم لأُمور الكونتية على نسبة كبيرة من الموظفين الأرمن أصحاب الخبرة في النّظم الإدارية البيزنطية، شارك كبار أعيان ونبلاء الأرمن في المجلس الاستشاري لدى الرّها، لكن بعد ازدياد هجرة الفرنجة إلى الرّها، بدأ بلدوين دي بويون يحد من الأعضاء الأرمن في المجلس الاستشاري، مقتصرًا على الأعضاء الفرنجة¹. نفس الشيء فعله بوهيموند عندما جعل أغلب مجلسه الاستشاري من الأرمن الذين اعتبروا غالبية في أنطاكية أيضا خاصة مع سعيهم الحثيث لتثبيت قدم الصليبيين في المنطقة على حساب القوى الإسلامية والبيزنطية.

ذهب بلدوين في اعتماده على الأرمن في تسيير إمارته حد استثمارهم على مدن ومناطق إستراتيجية، فعهد بإدارة تل باشر والراوندان إلى أميرين أرمنيين، كما أقرّ الأرمن الذين أعلنوا تبعيتهم له على إمارتهم الأرمنية وإقطاعاتهم، على أن يتبعوا له مباشرة في الرّها².

وتمتع الأرمن بالتسامح الديني، فلم يضطهدهم الفرنجة لأسباب مذهبية، وظلّ التسامح الديني سائدا بين الفرنجة والأرمن³ أغلب عهد بلدوين، وتتعزز أكثر على يد بلدوين الثاني حاكم الرها الذي سعى إلى تقوية الروابط بينه وبين الكنيسة الغريغورية الأرمنية الأرثوذكسية، حيث استقبل الكاثوليكيوس باسيل المتطرف للكنيسة الأرمنية بحفاوة، ومنحه عدة قرى وغمره بالهدايا والعطايا، وأظهر كثيراً من مشاعر الود والصدقة. ونفس الأمر نجده في سياسة بوهيموند أمير أنطاكية الذي اعتمد سياسة التسامح الديني في التعامل مع الأرمن المونوفيزيتيين رغم رفض الكنيسة الرومانية اللاتينية لهذا المعتقد وأصحابه⁴.

انضمّ الأرمن إلى جيش إمارة الرّها، فعملوا كفرسان وجند تحت قيادة فرسان الفرنجة⁵، واستطاع بلدوين بمساعدة الأرمن أن يُوسّع إمارة الرّها، فبالإضافة إلى الراوندان¹ وتل باشر²

1- Matthieu d'Edessa: Chronicle, in Recueil des Historiens des Croisades Documents Arméniens- vol1- Paris 1869 pp.53.

2 _ Setton- A History of the Crusades- Universtiy of pensylvania Press- V.1- Edited py Marshall W. Baldwin- p 302.

3- عليّة عبد السمّيع الجزوري- إمارة الرّها الصليبية- الهيئة المصريّة العامة للكتاب- القاهرة- 2001- ص 365.

4- فاطمة الطروانة- دور الأرمن في الحروب الصليبية 1096- 1152م- رسالة ماجستير جامعة مؤتة- الأردن- 2002- ص 234- 235.

5- ر. س. سيميل- فن الحرب في المائة الأولى- ترجمة د. سهيل زكار في الموسوعة الشاملة- دار الفكر- ط 1- دمشق- 2008- ص 83.

اشترى سيمساط من حاكمها بُلْك، الذي خشي من تعاظم صاحب الرُّها الجديد، واستولى بمساعدة الأرمن على سُروج³، وعلى الكثير من المواقع والمدن في شمالي الجزيرة الفراتية، فامتدَّت رقعة إمارته فوق مساحة من الأرض تقع شرق نهر الفرات وغربه، وجاورت إمارة الموصل، وهددت مدن ديار بكر مثل نصيبين وماردين⁴ وحِزَّان، كما سيطرت على الطُّرق المؤدِّية إلى حلب والموصل. تميزت هذه الإمارة اللَّاتينية بأنها أصبحت درعا حاميا في الشَّمال الشرقي للإمارات الصليبية الأخرى⁵.

أما في عهد بولدوين الثاني (دي بورغ) فقد شارك الأرمن في جميع المعارك مع الجيش الصليبي، وهزموا سقمان بن أرتق الذي استولى على سروج، وأعادوها بعد أن أحدثوا مجزرة بحق أهلها من المسلمين، وأخذوا من تبقى أسرى إلى الرها، وذلك سنة 494هـ/1100م، ومن أهم المساعدات العسكرية التي قدمها الأرمن لبلدوين الثاني كانت في معركة حران، حيث شاركت مجموعة كبيرة من القوات الأرمينية، والتي قتل معظمها في المعركة أمام المسلمين بقيادة جكرمش صاحب الموصل، وسقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا سنة 497هـ/1104م، فحاول الأرمن والفرنجة إنقاذ الوضع الداخلي للرَّها بسرعة باختيار تانكرد⁶ أميراً عليهم⁷، لتهدد بعدها الجيوش السلجوقية بقيادة جكرمش صاحب الموصل إمارة الرها، فأمر تانكرد

1 - الراوندان قلعة حصينة عالية على جبل مرتفع أبيض، وهي في الغرب والشمال من حلب، وبينهما نحو مرحلتين، وهي في الشمال من حارم. أنظر ياقوت الحموي- المصدر السابق- مج 3 ص 19.

2 - تل باشر قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب، بينهما يومان، وأهلها نصارى أرمن. أنظر ياقوت الحموي-معجم البلدان- مج 2 - دار صادر- بيروت- د. ت- ص 40.

3- سروج هي بلدة قريبة من حِزَّان من ديار مضر. انظر ياقوت الحموي - المصدر السابق- مج 3- ص 216.

4- ماردين قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دنبرودارا ونصيبين وقدامها رِبض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط وحناقها. أنظر ياقوت الحموي- المصدر السابق- مج 5- ص 39.

5- محمد سامي سلطان- موقف نصارى بلاد الشام من الحروب الصليبية (1095-1291م)- أطروحة دكتوراه غير منشورة- جامعة بيروت العربية- بيروت- 2013- ص 122.

6 تانكرد (Tancred) وتنكريد النورمندي المتوفي (1112م) أحد أهم القادة الصليبيين، ويعتقد أنه ابن اخت بوهيمند الأول، وهو القائد البديل الذي اعتمد عليه بوهيموند في قيادة الجيش النورماندي، والحفاظ على ممتلكاته في غيابه. أنظر سعد خليل الشعيبات- المرجع السابق- ص 29.

7 - محمد سامي سلطان -المرجع السابق- ص- 125.

جميع سكان المدينة الأرمن وفرسانها وحاميتها بحمل السلاح، فبذل الأرمن كل ما في وسعهم لمساعدة تانكرد لردهم عن الإمارة وكان له ذلك.¹

لم يختلف الموقف السياسي للأرمن الأنطاكيين من الصليبيين، فقد تطوعوا في جيش الأمير تانكرد كفرسان ومساعدين، وتبرع له أثريائهم بأموال طائلة من أجل إنشاء جيش قوي لحماية الإمارة، وكانوا خير معين للأمير بوهيموند من قبل، حيث عملوا على توسيع إمارة أنطاكية من خلال مساهمتهم المباشرة في ضم العديد من المدن المجاورة مثل البارة²، معرة النعمان³ واللاذقية، وانظموا إلى جيش الإمارة الصليبي المتجه نحو بيت المقدس⁴.

4.2- ظاهرة الزواج السياسي الصليبي- الأرمني: سعى الأمراء الصليبيون إلى خلق مجتمع صليبي متوازن ومستقر عن طريق تشجيع الزواج بين الصليبيين والمسيحيين المحليين خاصة من الأرمنيات في إطار ما يعرف بالزواج السياسي الذي اعتبره كلا الطرفين وسيلة لتحقيق غايات متنوعة، كان بلدوين حاكم الرها أول من سن هذه السنة التي اقتدى بها من جاء بعده من الأمراء الصليبيين حيث تزوج من الأميرة الأرمنية أرده (Arda) ابنة الأمير الأرمني طفنوس سنة 494هـ/1100م، واقتدى به بلدوين دي بورج الذي بتوليه حكم إمارة الرها (494-512هـ/ 1100-1118م) سعى للزواج من الأميرة الأرمنية مورفيا (Morphia) ابنة جبريل حاكم ملطية⁵ من أجل ضمان الدعم المادي من والدها الثري.

وبعد تسلم كونتية الرها لجوسلين دي كورتناي سنة (513-1119هـ/م) حافظ على تقليد الزواج السياسي الذي عرف به الحكام السابقين، لتدعيم العلاقات مع الأرمن بالمصاهرة وتشجيع الزواج من الأرمنيات فتزوج من أخت "ليون الأول" ملك أرمينيا الصغرى، التي

1 - ابن الأثير - الكامل في التاريخ - مر. محمد يوسف دقاق - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 - 1987م - مج 8 ص 330.

2 - البارة: بليدة وكورة من نواحي حلب وبها حصن - ابن العديم - المصدر السابق - ص 336.

3 - معرة النعمان: مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. تنسب إلى النعمان بن بشير الصحابي رضي الله عنه - انظر ياقوت الحموي - المصدر السابق - مج 5 ص 156.

4 - فاطمة الطروانة - المرجع السابق - ص 235.

5 - علية عبد السميع الجنزوري، المرجع السابق، ص 88.

ستصبح والدّة "جوسلين الثاني"، والذي بدوره سيتزوج من الأرملة الأرمنية "بياتريس"¹، ونلاحظ أن أغلب حالات الزواج عادت بفائدة على الطرفين سواء اقتصادية أو سياسية.

4.3- صور من الانتهاكات الصليبية في حق الأرمن: بدأ الأرمن بفقدان مكانهم داخل كونتية الرها مع توافد الفرنجة الذين أصبحوا طبقة عسكرية حاکمة، تسيطر على عناصر أرمينية شرقية تعمل في الزراعة والتجارة، فكره الأرمن تدفق الفرسان الفرنجة إلى ممتلكاتهم، واستيلائهم على قراهم الزراعية، مجبرين الأرمن على العمل في ظل قيود الإقطاعية الغربية².

أخذ أهالي الرها وخصوصا الأرمن ينظرون إلى بلديين على أنّه طاغية عنيف وجشع؛ فكان من الطبيعي أن يستاء الأرمن من حكم الفرنجة، وأخذوا يُدبرون المؤامرات للتخلص من ذلك الحكم، فاتصلوا بالأرناؤقة³ في ديار بكر التماسا للمساعدة، وأدرك عقلاء الأرمن أنّ بلديين جاء لا لكي يُحرّزهم، ولكن ليبنّي لنفسه سلطانا، وجدوا في فرسان الفرنجة خصما لا يقلّ خشونة عن البيزنطيين⁴.

ولشدّة بطش واستبداد دي بويون كظم الأرمن غيظهم في سكون، حتى انتهت مدّة إمارته سنة 494هـ/ 1100م، حيث ذهب إلى بيت المقدس خلفا لغودفري في حكم بيت المقدس، ليصبح أول ملكٍ لمملكة بيت المقدس اللاتينية⁵.

الخاتمة: كان للوجود الصليبي في أراضي المشرق تأثيرا واسعا وعميقا على واقع المسيحيين الشرقيين، حيث نلاحظ:

- تغييرا للوضع السياسي لمن كان يعيش منهم داخل الإمارات الصليبية فرغم الامتنان الصليبي لهذه الطوائف على ما تكبدته من عناء في سبيل دعم وتثبيت وجودهم بالمنطقة، إلا أن

1- المرجع نفسه، ص 90.

2- Grousset- Histoire des Croisades, Librairie Académique Perrin, Paris- 1968. Vol. 1.1 pp.62.

3- الأرناؤقة: نسبة إلى جدهم أرتق، وهم قبائل تركمانية كانت ضمن الجيوش السلجوقية التي أقطعت لهم عند بداية وجودهم في المشرق الإسلامي منطقة بيت المقدس فكانوا كحاجز للمد الفاطمي، وقام الأرناؤقة على الساحة السياسية والعسكرية دورا هاما مع محيطهم الإسلامي والفرنجي، ولهم الدور البارز في الجهاد ضد الفرنجة وخصوصا إيلغازي الذي هزمهم هزيمة ساحقة في معركة ساحة الدم 513هـ/ 1119م، انتهت دولتهم على يد قرا يوسف أمير دولة الخاروف الأسود (قراقوينلو) سنة 813هـ/ 1410م؛ للمزيد أنظر عماد الدين خليل- الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام- مؤسسة الرسالة- ط1- بيروت- 1980- ص 392- 393.

4- سامي سلطان، المرجع السابق، ص 124.

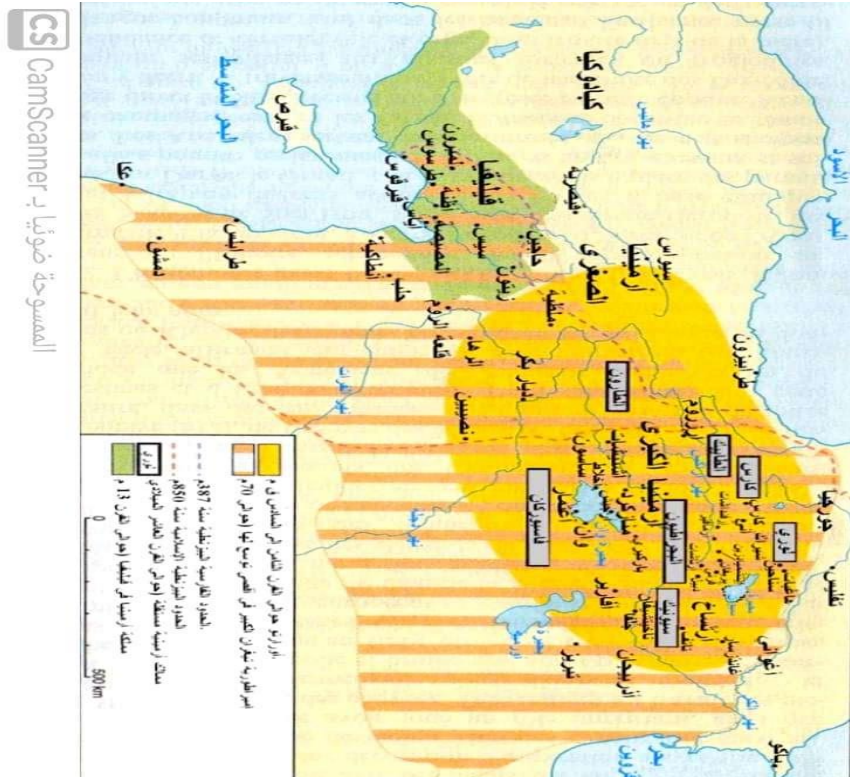
5- عليّة الجزوري، المرجع السابق ص 207.

الامتيازات التي تفضلوا بها عليهم في بداية حكمهم لم تكن سوى سياسة تخدم مصالحهم في مرحلة معينة أين كانوا أقلية حاكمة مع أغلبية محكومة من المسيحيين المحليين، مستغلين كرههم للقوى الإسلامية والبيزنطية للعب دور القوة المسيحية المنقذة لهم في الشرق.

- سرعان ما تغيرت سياسة المواجهة الصليبية لتكشف عن وجهها الحقيقي بعد أن تزايد عددهم وعظمت قوتهم، حيث فرضوا عليهم قوانين النظام الإقطاعي الجائر، لتتضح طبيعة العلاقة التي يسعون إليها مع هذه الطوائف والقائمة على أساس المصلحة المادية البحتة، ولا مكان لأخوة الدين في حساباتهم بل اعتبروهم هراطقة ولا فرق بينهم وبين الكفار المسلمين.

- تعتبر طائفة الأرمن من أكثر الطوائف المسيحية الشرقية دعما للوجود الصليبي، ويمكن إرجاع ذلك إلى:

- العداء التقليدي للأرمن مع القوى الإسلامية والبيزنطية.
- خصوصية العنصر الأرمني الذي يعتبر الوحيد من بين الطوائف المسيحية الشرقية، الذي عاش مفهوم الدولة القومية- الدينية لذا لم يتقبل سقوط ملكه وتشتت أفرادها، فكان دائما يسعى إلى الاستقلال السياسي والديني.
- الحلم الأبدي في إعادة أمجاد مملكة أرمينيا الكبرى المسيحية الغريغورية.



المراحل التاريخية للتوسع الجغرافي لمملكة أرمينية من ق6م الى غاية ق13م¹

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربية والمعرية:

- ابن الأثير-الكامل في التاريخ- مر. محمد يوسف دقاق- مج8- دار الكتب العلمية- بيروت - ط1- 1987.
- ابن العديم- زبدة الحلب من تاريخ حلب- تح خليل المنصور- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1.
- المؤرخ الرهاوي المجهول- تاريخ الرهاوي المجهول- ج2- عربية: الأب ألبير أبونا- مطبعة شفيق- بغداد- 1986.
- مؤرخ مجهول- أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس- تر. وتق. حسن حبشي- دار الفكر العربي - 1958.
- وليم الصوري- الحروب الصليبية حبشي1- تر. حسن حبشي- الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر- 1991.
- المراجع العربية والمعرية:

1- محمد زرقوق- العلاقات بين مملكة أرمينيا الصغرى والإمبراطورية المغولية وانعكاساتها على المشرق الإسلامي (623-667هـ/

1226-1269م)- مجلة الحكمة للدراسات التاريخية- العدد السابع- مجلد 2016- ص228.

- أثاناسيوس المقاري، الكنائس الشرقية وأوطانها- دار نوبار- القاهرة- ط2 - 2006.
- أديب السيد- أرمنية في التاريخ العربي- المطبعة الحديثة بحلب - ط1- 1972.
- ر. س. سيمبل- فن الحرب في المائة الأولى- ترجمة سهيل زكار في الموسوعة الشاملة- دار الفكر- ط1- دمشق- 2008.
- سعد خليل الشيبات- مصادر تمويل الحملات الصليبية 488-648هـ/1095-1250م - الآن ناشرون وموزعون- عمان - ط1- 2021.
- سعدون محمود الساموك، هدى علي الشمري- الأديان في العالم- دار المنهاج للنشر والتوزيع- عمان- ط1- 2010.
- سمير عبده- المسيحيون السوريون خلال ألفي عام - دار علاء الدين للنشر- دمشق- 2000.
- عزيز سريال عطية- تاريخ المسيحية الشرقية- تر. إسحاق عبيد- ط1- المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة- 2005.
- علية عبد السميع الجزوري: إمارة الزها الصليبية - الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 2001.
- عماد الدين خليل- الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام- مؤسسة الرسالة- ط1- بيروت- 1980.
- فاطمة الطروانة- دور الأرمن في الحروب الصليبية 1096/1152م- رسالة ماجستير جامعة مؤتة- الأردن- 2002.
- فتحي سالم الليهي - مملكة أرمنية الصغرى دراسة في العلاقات السياسية مع القوى المجاورة للفترة 463 - 776هـ/ 1071 - 1374م - عمان دار غيداء للنشر والتوزيع- ط1- 2018.
- قاسم عبده قاسم - مفهوم الحروب الصليبية- عالم المعرفة- الكويت - 1990.
- محمد زرقوق- سفارات الكنيسة الأرمنية الى القسطنطينية وروما والقاهرة وأثرها على اندلاع الحروب الصليبية- مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية- ع51- 2019.
- محمد زرقوق- العلاقات بين مملكة أرمنيا الصغرى والإمبراطورية المغولية وانعكاساتها على المشرق الإسلامي (623-667هـ/1226-1269م) - مجلة الحكمة للدراسات التاريخية- العدد السابع- مجلد 2016
- محمد سامي سلطان- موقف نصارى بلاد الشام من الحروب الصليبية 1095-1291م- أطروحة دكتوراه- جامعة بيروت العربية- بيروت- 2013.
- مزا بنت زيد البقي- الأدلاء ودورهم في بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية 490-690هـ/1098-1291م - عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- القاهرة - ط1- 2017.
- مصعب قاسم عزاوي - رتق الذاكرة التاريخية منعطفات التاريخين العربي والإسلامي- دار الأكاديمية للطباعة والنشر والتوزيع- ط2- 2022.
- مفيد الزيدي- موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر- دار اسامة للنشر والتوزيع- الأردن- ط1- 2009.
- يوسف دبس- الحجة القاطعة على من ينكر ثبوت الموازنة في العقيدة الكاثوليكية- المطبعة العمومية المارونية- بيروت- 1900.
- يوشع براور- عالم الصليبيين- ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن- عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- القاهرة- ط1- 1999.
- المراجع الأجنبية:

- 1- Johnny Turner, a biblical theology of Christian discipleship, WIP AND STOCK publishers, Eugene, 1st ed. 2021,
- 2- Grousset, Histoire des Croisades, Librairie Académique Perrin, Paris 1968.
- 3- Linda Edwards, a guide to beliefs ideas, théologies, mysteries, and movements, Westminster John Knox press, London, 1st Ed, 2001.
- 4- Matthieu d'Edessa, Chronicle, in Recueil des Historiens des Croisades Documents Arméniens- vol.1- Paris, 1869.
- 5- Setton- A History of the Crusades- Universtiy of pensylvania Press- V.1- Edited by Marshall W. Baldwin